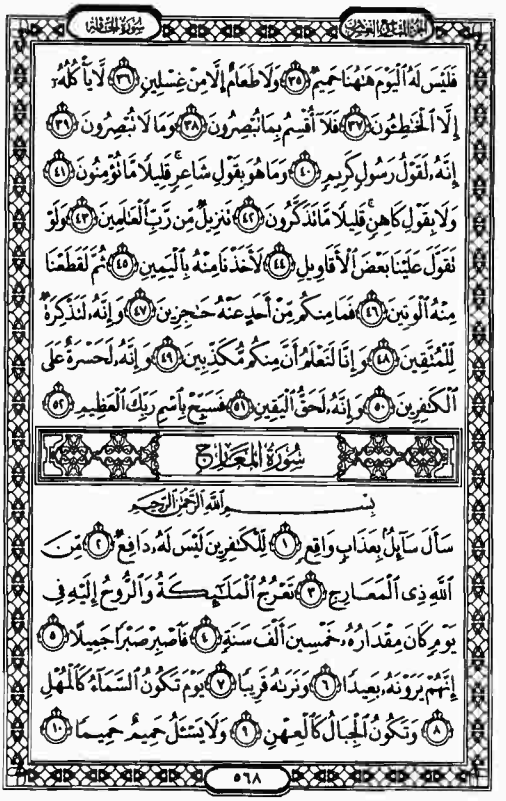
فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ
إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾
إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾
وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ
تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا
مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ
لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى
ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾
سُورَةُ المَعَارِجِ
بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ
ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى
يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾
إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ
﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾
٥٦٨

معانى الكلمات

يحض : يحث ويحرض .

حميم: قريب مشفق لشدة الهول والعذاب .

غسلين : صديد أهل النار .

تقوّل : اختلق وافترى علينا .

الوتين : يناط القلب .

حاجزين : مانعين الهلاك عنه .

كالمهل : كالمعدن المذاب أو دردى الزيت .

كالعهن : كالصوف المصبوغ ألوانا .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نعلم أن العقيدة هى الجد الذى لا هوادة فيه ، ولا تحتمل تسامحا ولا مجاملة لأحد كائنا من كان .

٢ ـ أن نعلم أن القرآن عميق فى الحق ، عميق فى اليقين ، ويكشف عن الحق الخالص فى كل آية .

٣ ـ أن نستشعر الرهبة من أهوال يوم القيامة .

المحتوى التربوى :

يمضى السياق فيذكر تكملة الإعلان العلوى عن مصير ذلك الشقى ، فلقد كان لا يؤمن بالله العظيم ، وكان لا يحض على طعام المسكين ، فهو هنا مقطوع فليس له اليوم من ينقذه من عذاب الله ، لا حميم ـ وهى القريب ولا شفيع يطاع ، وهو ممنوع فلا طعام له هاهنا إلا من غسلين ، وهو غسالة أهل جهنم من قيح وصديد ، وهذا طعام لا يأكله إلا المذنبون المتصفون بالخطيئة ، وهو منهم فى الصميم .

يقول صاحب **الظلال** : « وبعد ، فذلك هو الذى يجعله الله مستحقا للأخذ والغل والتصلية والسلسلة التى ذرعها سبعون ذراعا الجحيم ، وهو أشد دركات جهنم عذابا ، فكيف بمن يمنع

طعام المسكين ، ومن يجيع الأطفال والنساء والشيوخ ، ومن يبطش بطشة الجبارين بمن يمد إليهم يده باللقمة والكساء فى برد الشتاء ؟ أين ترى يذهب هؤلاء ، وهم يوجدون فى الأرض بين الحين والحين ؟ وما الذى أعده الله لهم وقد أعد لمن لا يحض على طعام المسكين ، ذلك العذاب فى الجحيم ؟ » .

وفى ظل هذه المشاهد العميقة الأثر فى المشاعر يجىء التقرير الحاسم الجازم عن حقيقة هذا القول الذى جاءهم به الرسول الكريم ، فتلقوه بالشك والسخرية والتكذيب ، والأمر لا يحتاج إلى قسم أنه حق ، صادر عن الحق ، وليس شعر شاعر ، ولا كهانة كاهن ، ولا افتراء مفتر لا فما هو بحاجة إلى توكيد بيمين ، والوجود أضخم بكثير مما يرى البشر بل مما يدركون ، وما يبصر البشر من الكون، وما يدركون إلا أطرافا قليلة محصورة، فلا يعيش الإنسان سجين ما تراه عيناه، ولا أسير ما يدركه وعيه المحدود ، فهناك وراء ما تدركه عينه ووعيه عوالم وحقائق أكبر ـ بما لا يقاس ـ بما وصل إليه ، عندئذ يتسامى على ذاته ويرتفع على نفسه ، فالذين يحصرون أنفسهم فى حدود ما ترى العين، ويدرك الوعى ، بأدواته الميسرة له .. مساكين ! سجناء حسهم وإدراكهم المحدود ، محصورون فى عالم ضيق على سعته ، صغير يقاس إلى ذلك الملك الكبير .

وتقرير أنه قول رسول كريم لا يعنى أنه من إنشائه ، ولكن المراد هنا أنه قول من نوع آخر لا يقوله شاعر ، ولا يقول كاهن ، إنما يقوله رسول يرسل به من عند الله ، فيحمله من هناك من ذلك المصدر الذى أرسله ، والتعقيب فى الآيات مدلوله نفى الإيمان ، ونفى التذكر ، فما يقول مؤمن عن الرسول : إنه شاعر ، ولا يقول متذكر متدبر ، إنه كاهن ، إنما هما الكفر والغفلة ينضحان بهذا القول النكير .

وفى النهاية يجىء التهديد الرعيب لمن يفترى على الله فى شأن العقيدة وهى الجد الذى لا هوادة فيه ، يجىء لتقرير الاحتمال الواحد الذى لا احتمال غيره وهو صدق الرسول ﷺ وأمانته فيما أبلغه إليهم أو يبلغه ، بشهادة أن الله لم يأخذه أخذا شديداً كما هو الشأن لو انحرف أقل انحراف عن أمانة التبليغ ، فلو تقول بعض الأقاويل التى لم يوح بها إليه ، لأخذها الله فقتله بتقطيع يناط القلب ، وما يقدر أحد على أن يحجز بينه وبين الله إذا أراد به شيئا من ذلك ، وتجىء الخاتمة بحقيقة الأمر ، فهذا القرآن يذكر القلوب النقية فتذكر ، ولا يؤثر فى حقيقة هذا الأمر أن يوجد منكم مكذبون ، وإن هذا القرآن لندامة على الكافرين بما يرفع من شأن المؤمنين ، ويحط من قدر المكذبين ، وبما ينتهى إليه من إقرار الحق وإزهاق الباطل ، ثم أنه حجة عليهم عند الله فى اليوم الآخر ، وإن هذا القرآن هو الحق الذى لا مرية فيه ، فهو حق اليقين وليس مجرد اليقين ، ويجىء التلقين العلوى بالتسبيح بما فيه من تنزيه وتمجيد ، وبما فيه من عبودية وخشوع .

سورة المعارج

كانت حقيقة الآخرة من الحقائق العسيرة الإدراك عند مشركى العرب ، ولقد لقيت منهم معارضة نفسية عميقة، وكانوا ينكرونها أشد الإنكار ، ويتحدون الرسول ﷺ فى صور شتى أن

يأتيهم بهذا اليوم الموعود ، أو أن يقول لهم : متى يكون ، والسورة تحكى أن هناك سائلا سأل وقوع العذاب واستعجله ، وتقرر أن هذا العذاب واقع فعلا ، وهذا العذاب للكافرين وهو واقع من الله ذى الدرجات والفواضل والنعم .

وبعد هذا الافتتاح الذى يقرر كلمة الفصل فى موضوع العذاب ووقوعه ومستحقيه ومصدره ، وعلو هذا المصدر ورفعته ، أخذ فى وصف ذلك اليوم ؛ ففى هذا اليوم تصعد الملائكة والروح إلى الله ، والروح جبريل وأفرد بالذكر لماله من شأن خاص ، والملائكة تعرج فى شؤون هذا اليوم ومهامه ، ولا ندرى نحن طبيعة هذه المهام، ولا كيف يصعد الملائكة ، ولا إلى أين يصعدوه،وحسبنا أن نشعر بأهمية هذا اليوم الذى مقداره خمسين ألف سنة من سنى أهل الأرض وهو يوم واحد ، وقد تكون كناية عن طول هذا اليوم ، وإذا كان يوم واحد من أيام الله يساوى خمسين ألف سنة ، فإن عذاب يوم القيامة قد يرونه هم بعيداً وهو عند الله قريب ، ومن ثم يدعو الله نبيه ﷺ إلى الصبر الجميل على استعجالهم وتكذيبهم بذلك العذاب .

يقول صاحب الظلال : « والدعوة إلى الصبر والتوجيه إليه صاحبت كل دعوة، وتكررت لكل رسول ، ولكل مؤمن يتبع الرسول ، وهى ضرورية لثقل العبء ومشقة الطريق ، ولحفظ هذه النفوس متماسكة راضية ، موصولة بالهدف البعيد ، متطلعة كذلك إلى الأفق البعيد ، والصبر الجميل هو الصبر المطمئن الذى لا يصاحبه السخط ، ولا القلق ولا الشك فى صدق الوعد ، صبر الواثق من العاقبة ، الراضى بقدر الله ، وهذا اللون من الصبر هو الجدير بصاحب الدعوة ، فهى دعوة إلى الله ، ليس له هو منها شىء ، فكل ما يلقاه فهو فى سبيل الله » .

ثم يرسم مشاهد اليوم الذى يقع فيه ذلك العذاب الواقع الذى يرونه بعيدا ويراه الله قريبا ، يرسم مشاهده فى مجال الكون وأغوار النفس ؛ فالسماء ستكون كالمعادن المذابة ، وتكون فيه الجبال كالصوف الواهن المنتفش ، ونتملى ما وراء هذا المشهد من الهول المذهل الذى ينطبع فى النفوس ويعبر عنه القرآن ، فالناس فى هم شاغل لا يدع لأحد منهم أن يتلفت خارج نفسه ، ولا يجد فسحة فى شعوره لغيره ، فلقد قطع الهول المروع جميع الوشائج ، وحبس النفوس على همها لا تتعداه .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

١ ـ المتقون يجدون فى القرآن من الحياة والنور والمعرفة والتذكير ما لا يجده الغافلون .

٢ ـ ضرورة ذكر الله وتسبيحه فى جميع الأحوال ، ففيه التنزيه والتمجيد والعبودية والخشوع لله تعالى .

٣ ـ الدعوة إلى الصبر والتوجيه إليه صاحبت كل دعوة ، وهى ضرورية لمواصلة الطريق إلى الله .

يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾
وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ
جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُو
مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴿١٨﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا
﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا
الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ فِي
أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ
بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ
رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰ
أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ
ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ
﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ
﴿٣٤﴾ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ
﴿٣٦﴾ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ
أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾

معانى الكلمات

يبصرونهم : يعرّف الأحماء أحماءهم .

فصيلته : عشيرته الأقربين .

تؤويه : تضمه .

نزاعة للشوى : قلاعة للأطراف وجلد الرأس .

جزوعا : كثير الجزع والأسى .

مشفقون : خائفون .

مهطعين : مسرعين مادى أعناقهم .

عزين : جماعات متفرقين .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نتعرف على ما كانت تواجهه الدعوة فى مكة .

٢ ـ أن نعلم حقيقة النفس البشرية فى مواجهة الشر والخير .

٣ ـ أن نستشعر قيمة الإيمان وأثره فى حياة الإنسان وعاقبته .

المحتوى التربوى :

يمضى السياق فيذكر أن هؤلاء الكفار يعرضون بعضهم على بعض ولكن لكل منهم همه ، ولكل ضمير منهم شغله ، فلا يهجس فى خاطر صديق أن يسأل صديقه عن حاله ، ولا أن يسأله عونه ، فالكرب يلف الجميع ، والهول يغشى الجميع ، فما بال المجرم ؟ إن الهول ليأخذ بحسه ، وإن الرعب ليذهب بنفسه ، وإنه ليود لو يفتدى من عذاب يومئذ بأعز الناس عليه ، ممن كان يقتديهم بنفسه فى الحياة ، ويناضل عنهم ، ويعيش لهم ... ببنيه وزوجه وأخيه وعشيرته القريبة التى تؤويه وتحميه ، بل إن لهفته على النجاة لتفقده الشعور بغيره على الإطلاق ، فيود لو يفتدى بمن فى الأرض جميعا ثم ينجيه .

وبينما المجرم فى هذه الحال يتمنى ذلك المحال ، يسمع ما ييئس ويقنط من كل بارقة من أمل ، أو كل حديث خادع من النفس ، كما يسمع الملأ جميعا حقيقة الموقف وما يجرى فيه ، إنه مشهد

تطير له النفس شعاعا ، بعدما أذهلها كرب الموقف وهوله ، كلا فى ردع عن تلك الأمانى المستحيلة فى الافتداء بالبنين والزوج والأخ والعشيرة ومن فى الأرض جميعا ، ويصف النار بأنها تتلظى وتتحرق ، تنزع الجلود عن الوجوه والرؤوس نزعا ، وهى غول مفزعة ، ذات نفس حية تشارك فى الهول والعذاب عن إرادة وقصد ، تدعو من كان فى الدنيا يدعى إلى الهدى فيدبر ويتولى ، ولكنه اليوم إذا تدعوه جهنم لا يملك أن يدبر ويتولى ، ولقد كان من قبل مشغولا عن الدعوة بجمع المال وحفظه فى الأوعية ، أما اليوم فالدعوة من جهنم لا يملك أن يلهو عنها ، ولا يملك أن يفتدى بما فى الأرض كله منها .

ويتجه السياق إلى تصوير حقيقة النفس البشرية فى مواجهة الشر والخير ، وفى حالتى إيمانها وخلوها من الإيمان ، ويقرر مصير المؤمنين كما قرر مصير المجرمين ، وصورة الإنسان ـ عند خواء قلبه من الإيمان كما يرسمها القرآن صورة عجيبة فى دقة تعبيرها الكامل عن الملامح الأصيلة فى هذا المخلوق ، والتى لا يعصمه منها ولا يدفعه عنها إلا العنصر الإيمانى الذى يصله بمصدر يجد عنده الطمأنينة التى تمسك به من الجزع عند ملاقاة الشر ، ومن الشح عند امتلاك الخير ، فالإنسان الخاوى بسماته وملامحه الثابتة هلوع ، جزوع عند مس الشر ، يتألم للذعته ويجزع لوقعه ، ويحسب أنه دائم لا كاشف له ، ولا يتصور أن هناك فرجا ، ولا يتوقع من الله تغييراً ، ومن ثم يأكله الجزع ، ويمزقه الهلع ، وهو منوع للخير إذا قدر عليه يحسب أنه من كده وكسبه فيضنّ به على غيره ، ويصبح أسير ما ملك منه ، مستعبداً للحرص عليه ، ذلك أنه لا يدرك حقيقة الرزق ودوره هو فيه ، ولا يتطلع إلى خير منه عند ربه ، ومن ثم يبدو الإيمان بالله مسألة ضخمة فى حياة الإنسان ، لا كلمة تقال باللسان ، ولا شعائر تعبدية تقام ، إنه حالة نفس ومنهج حياة ، وتصور كامل للقيم والأحداث والأحوال .

وصفة المؤمنين المستثنين من الهلع ، تلك السمة العامة للإنسان ، والصلاة فوق أنها ركن الإسلام وعلامة الإيمان ، هى وسيلة الاتصال بالله والاستمداد من ذلك الرصيد ، ومظهر العبودية الخالصة التى يتجرد فيها مقام الربوبية ومقام العبودية فى صورة معينة ، وصفة الدوام التى يخصصها بها هنا تعطى صورة الاستقرار والاستطراد ، فهى صلاة لا يقطعها الترك والإهمال والكسل وهى صلة بالله مستمرة غير منقطعة،والزكاة على وجه التخصيص والصدقات المعلومة القدر وهى حق فى أموال المؤمنين ، أو لعل المعنى أشمل من هذا وأكبر ، وهو أنهم يجعلون فى أموالهم نصيبا معلوما يشعرون أنه حق للسائل والمحروم ، وفى هذا تخلص من الشح واستعلاء على الحرص ، كما أنه فيه شعوراً بواجب الواجد تجاه المحروم ، والشعور بأن للمحتاجين والمحرومين حقا فى الأموال هو شعور بفضل الله من جهة ، وبآصرة الإنسانية من جهة ، فوق ما فيه من تحرر شعورى من ربقة الحرص والشح ، وهو فى الوقت ذاته ضمانة اجتماعية لتكافل الأمة كلها وتعاونها ، فهى فريضة ذات دلالات شتى فى عالم الضمير وعالم الواقع سواء .

وصفة المؤمنين التصديق بيوم الدين ، وهو شطر الإيمان وذو أثر حاسم فى منهج الحياة شعوراً وسلوكا ، وميزان الحياة والقيم والأعمال والأحداث فى يد المصدق بيوم الدين غير ميزانها فى يد المكذب بهذا اليوم أو المستريب فيه ، المصدق بيوم الدين يعمل وهو ناظر لميزان السماء لا لميزان الأرض ولحساب الآخرة لا لحساب الدنيا ، ويتقبل الأحداث خيرها وشرها وفى حسابه أنها مقدمات نتائجها هناك ، فيضيف لها النتائج المرتقبة ، أما المكذب فيحسب كل شىء بحسب ما يقع له منه فى هذه الحياة القصيرة المحدودة ، وتأتى درجة أخرى وراء مجرد التصديق بيوم الدين ، درجة الشعور بالتقصير فى جناب الله على كثرة العبادة ، والخوف من تلفت القلب واستحقاقه للعذاب فى أية لحظة ، وعذاب الله لا يأمنه أحد ممن عقل عن الله أمره إلا بأمان من الله تعالى ، والإسلام يريد مجتمعا طاهراً نظيفا ، ومن ثمَّ يذكر القرآن من صفات المؤمنين أنهم يكفون فروجهم عن الحرام ويمنعونها أن توضع فى غير ما أذن الله فيه من الزوجة والأمة ، فمن ابتغى غير الزوجة والأمة فقد عدى ما أحل الله له إلى ما حرمه عليه .

وهؤلاء إذا اؤتمنوا لم يخونوا ، وإذا عاهدوا لم يغدروا ، وهم محافظون على الشهادة لا يزيدون فيها ولا ينقصون منها ولا يكتمونها ، وتختم الصفات بالصلاة كما بدئت ، فذكر هنا المداومة عليها ، وذكر هنا المحافظة عليها فى مواعيدها ، وفى فرائضها ، وفى سننها ، وفى هيئتها ، وفى الروح التى تؤدى بها ، فلا يضيعونها إهمالا وكسلا ، ولا يضيعونها بعدم إقامتها على وجهها ، وعندئذ يقرر مصير هذا الفريق من الناس بعد ما قرر من قبل مصير الفريق الآخر ، فهم فى جنات وهم يلقون الكرامة فى هذه الجنات ، فتجتمع لهم اللذة بالنعيم مع التكريم ، جزاء على هذا الخلق الكريم الذى يتميز به المؤمنون .

ثم يعرض السياق مشهدًا للمشركين الذين كانوا فى زمن النبىﷺ وهم مشاهدون له ، ولما أرسله الله به من الهدى، وأيده به من المعجزات ، ثم مع هذا كله فارون منه ، متفرقون عنه ، نافرون منه عن اليمين والشمال ، أفيطمع هؤلاء من فرارهم عن الرسول ونفارهم عن الحق أن يدخلوا جنات النعيم ؟ بل مأواهم نار الجحيم ، وهم يعلمون مما خلقوا ، من ذلك الماء المهين الذى يعرفون ، فهم أهون على الله من أن تكون لهم دالة عليه .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

١ ـ يجب أن نقاوم طبيعة الفزع عند التعرض للآلام ، وشدة البخل بما فى اليد بتعاليم الدين ومبادئه .

٢ ـ المواظبة على أداء الصلوات فى أوقاتها بخشوع مع مراعاة شروطها من صفات المؤمنين .

٣ ـ صيانة النفس عن الحرام وأداء الأمانات والوفاء بالوعود والعهود والشهادة بالحق ، وإعطاء الفقير حقه من صفات المؤمنين .

فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ
وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي
يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعٗا كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ
﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

سُورَةُ نُوحٖ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ
عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعۡبُدُواْ
ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ
إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۘ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ
﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ﴿٥﴾ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا
فِرَارٗا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ
فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا
﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ
لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ﴿٩﴾ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ﴿١٠﴾

٥٧٠

معانى الكلمات :

بمسبوقين : بمغلوبين عاجزين .

يخوضوا : ينغمسوا فى باطلهم .

الأجداث : القبور .

نصب : أحجار عظموها فى الجاهلية .

يوفضون : يسرعون .

ترهقهم ذلة : تغشاهم مهانة .

فرارا : تباعدا عن الإيمان .

أصروا : تشددوا وانهمكوا فى الكفر .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نستشعر أن الدنيا بلا إيمان لهو فارغ وخوض فى باطل .

٢ ـ أن نتعرف على تجربة من تجارب الدعوة فى الأرض من خلال قصة سيدنا نوح مع قومه .

٣ ـ أن نعلم وحدة العقيدة وثبات أصولها على تعدد الرسالات والرسل عليهم السلام .

المحتوى التربوى :

يستطرد السياق فى تهوين أمر المشركين وتصغير شأنهم ، وتنكيس كبريائهم فيقرر أن الله قادر على أن يخلق خيراً منهم ، وأنهم لا يعجزونه فيذهبون دون ما يستحقون من جزاء أليم ، والأمر ليس فى صاحبه إلى قسم ، ولكن التلويح بذكر المشارق والمغارب يوحى بعظمة الخالق ، وهل يحتاج أمر المخلوقين مما يعملون إلى قسم برب المشارق والمغارب ، على أنه سبحانه قادر على أن يخلق خيراً منهم ، وأنهم لا يسبقونه ولا يفوتونه ولا يهربون من مصيرهم المحتوم ؟ !

ويوجه الخطاب للرسول ﷺ ليدعهم فى تكذيبهم وكفرهم لذلك اليوم ولذلك العذاب ، يوم يخرجون من القبور يسرعون الخطا كأنما هم ذاهبون إلى نصب يعبدونه ، وتتم سماتهم فترى

أبصارهم خاضعة تغشاهم مهانة وذلة وانكسار فى مقابلة ما استكبروا فى الدنيا عن الطاعة ، وسيعلمون عاقبة كفرهم وتكذيبهم بهذا اليوم الذى يذوقون فيه سوء العذاب .

سورة نوح

هذه السورة كلها تقص قصة نوح ﷺ مع قومه ، وتصف تجربة من تجارب الدعوة فى الأرض ، وتمثل دورة من دورات العلاج الدائم الثابت المتكرر للبشرية ، وشوطا من أشواط المعركة الخالدة بين الخير والشر ، والهدى والضلال ، والحق والباطل ، ومن خلال عرض هذه الحلقة من حلقات الدعوة الإلهية على البشرية تتجلى حقيقة وحدة العقيدة وثبات أصولها وتأصل جذورها ، كما يتجلى ارتباطها بالكون وبإرادة الله وقدره ، وأحداث الحياة الواقعة وفق قدر الله تعالى .

تبدأ السورة بتقرير مصدر الرسالة والعقيدة وتوكيده؛ فالمصدر الذى يتلقى منه الرسل التكليف ، كما يتلقون حقيقة العقيدة ، هو المصدر الذى صدر منه الوجود كله ، وصدرت منه الحياة ، هذا المصدر هو الله الذى خلق البشر وأودع فطرتهم الاستعداد لأن تعرفه وتعبده ، فلما انحرفوا عنها أرسل إليهم رسله يردونهم إليه ، ونوح ﷺ كان أول هؤلاء الرسل بعد آدم ﷺ ، ثم تذكر السورة فحوى رسالة نوح ﷺ فى اختصار وهى الإنذار ، والحالة التى كان قوم نوح فى النهاية لربه تجعل الإنذار هو أنسب ما تلخص به رسالته ، وأول ما يفتتح به الدعوة لقومه ، الإنذار بعذاب أليم فى الدنيا أو فى الآخرة أو فيهما جميعا .

ومن مشهد التكليف ينتقل السياق مباشرة إلى مشهد التبليغ فى اختصار ، البارز فيه هو الإنذار ، مع الإطماع فى المغفرة على ما وقع من الخطايا والذنوب ، وتأجيل الحساب إلى الأجل المضروب فى الآخرة للحساب ، وذلك مع البيان المجمل لأصول الدعوة التى يدعوهم إليها ، ونوح ﷺ مفصح عن نذارته ، مبين عن حجته ، لا يتمتم ولا يجمجم ولا يتلعثم فى دعوته ، ولا يدع لبسا ولا غموضا فى حقيقة ما يدعو إليها ، وفى حقيقة ما ينتظر المكذبين بدعوته ، وما يدعو إليه بسيط واضح مستقيم ، فهو يدعو إلى عبادة لله وحده بلا شريك ، وتقوى الله تهمين على الشعور والسلوك ، وطاعة لرسوله تجعل أمره هو المصدر الذى يستمدونه منه نظام الحياة وقواعد السلوك ، وعبادة الله وحده منهج كامل للحياة ، يشمل تصور الإنسان لحقيقة الألوهية وحقيقة العبودية ، ولحقيقة الصلة بين الخلق والخالق ، ولحقيقة القوى والقيم فى الكون وفى حياة الناس .

وتقوى الله هى الضمانة الحقيقية لاستقامة الناس على ذلك المنهج ، وطاعة الرسول هى الوسيلة للاستقامة على الطريق ، وهذه خلاصة دعوة الله فى كل جيل وقد وعدهم عليها ما وعد